سلسلة مقالات الآبا ساويرس
البطريرك الانطاكي
٢٣

القديس باسيليوس
والقديس أغريغوريوس الثاؤلوغوس
الناطق بالإلهيات

مليكه حبيب يوسف
يوسف حبيب

سلسلة مقالات الآبا ساويرس
- البطريرك الانطاكي
٢٣

القديس باسيليوس
والقديس أغريغوريوس الثاولوغوس
الناطق بالإلهيات

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الثالث من الجزء السادس والعشرين من مجموعة :

PATROLOGIA ORIENTALES
R. Graffin – F. Nau
Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche
publieés et traduites par Maurice Brière
Homélie CXVI

مليكه حبيب يوسف
يوسف حبيب

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين ؟

غبطة أبينا البطريرك المكرم رئيس الأساقفة

الأنبا كيرلس السادس

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٦

أطال الله حياته ومتعه بالصحة

أفتكر حقاً أن اليوم الحاضر يوحى إلى فى كل عام ليس بذكرى باسيليوس واغريغوريوس فحسب ، بل بذكرى رئاسة الكهنوت . هذا يوم التكفير ، مثله مثل اليوم المذكور فى الناموس الذى كان بموجبه يدخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس مرة واحدة فى كل سنة فى اليوم العاشر من الشهر السابع ، أى فى الهيكل الكامل المبارك الطاهر .

« ويكون لكم فريضة دهرية انكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون الوطنى والغريب النازل فى وسطكم » لا ١٦ : ٢٩ .

فان العدد « سبعة » إشارة إلى القداسة والبركة والطهارة . والكتاب الموحى به من الله يشهد بذلك إذ يقول : « وبارك الله اليوم السابع وقدسه لان فيه إستراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً » تك ٢ : ٣ .

ويروى الكتاب المقدس ان نوحاً بعد أن بنى الفلك لكى يسبح ويسير مع السيل العجيب غير العادى ، كان قد صدر إليه الأمر بأن يُدخل إليه ضمن الحيوانات الطاهرة والطيور ، سبعة أزواج أى ذكور وإناثا .

« من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى . ومن البهائم التى ليست طاهرة إثنين ذكراً وأنثى . ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى . لإستبقاء نسل على وجه كل الأرض . » تك ٧ : ٢ - ٣ .

ويشير من جهة أخرى العدد « عشرة » إلى الكمال ، كما تعلمنا بذلك تقدمة العشور ؛ وقول يعقوب الذى كان أول من نذر له : « وهذا الحجر الذى أقمته عموداً يكون بيت الله وكل ما تعطينى فانى أعشّره لك » تك ٢٨ : ٢٢ .

وبالحرى كان ابراهيم من قبله الذى أعطى لملكى صادق عشر غنيمته .

« ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك . فأعطاه عشراً من كل شىء » تك ١٤ : ٢٠ .

والناموس أيضاً يحتوى عشر وصايا ؛ وأيضاً بذار كلمة الإنجيل التى إذا كان مقدارها عشر عشرات أى مائة تأتى بثمر كامل : « وسقط آخر على الأرض الجيدة . فأعطى ثمراً . بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين » مت ١٣ : ٨ . « وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم . وهو الذى

يأتى بثمر فيصنع بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين » مت ١٣ : ٢٣ .

وكذلك أيضاً الحق حينما زرع الشعير كان يأتى به إلى مائة ضعف من الحبوب : « وزرع اسحق فى تلك الأرض فأصاب فى تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب » تك ٢٦ : ١٢ .

وأيضاً داود النبى المرتل صدر إليه الأمر بأن يغنى على قيثارة لها عشرة أوتار . « على ذات عشرة أوتار وعلى الرباب على عزف العود » مز ٩٢ : ٣ . « يا الله أرنم لك ترنيمة جديدة برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك » مز ١٤٤ : ٩ .

ماذا كان يتم إذن فى يوم الكفارة هذا ؟ « ويكفر الكاهن الذى يمسحه والذى يملأ يده للكهانة عوضاً عن أبيه . يلبس ثياب الكتان الثياب المقدسة ويكفر عن مقدس القدس . وعن خيمة الاجتماع والمذبح يكفّر . وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفّر . وتكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بنى اسرائيل من جميع خطاياهم مرة فى كل سنة . ففعل كما أمر الرب موسى » لا ١٦ : ٣٢ - ٣٤ .

اعتقد إذاً أن ذلك هو مغزى اليوم الحاضر . وفيه كذلك نحتفل بذكرى هذين الأبوين القديسين . وإذا قلنا انهما يباركان اليوم بداية العام ، فإننا فى ذلك لا نكون قد حدنا عن اللياقة ، لان باكورة البركة ، تعيين سفير شهير أو قائد جيش تقى جدير بالمديح من المشرق ، جلبها لنا هذان الرئيسان الحقيقيان ، وهما المكرسان المعززان للرب اللذان يستطيعان أن يصيحا مع بولس الرسول : « فاطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بى » ، ١كو ٤:١٦ . « كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح » ، ١ كو ١١:١ .

انهما يظهران هكذا ، إذ يقدمان الآن ايضاً الذبائح العقلية ، ويمارسان الكهنوت ويصعدان الطلبات الطاهرة جداً من أجل قدس الأقداس ، من أجل المذبح ، ومن أجلنا نحن الكهنة أنفسنا الذين نقف أمام قدس الأقداس أمام المذبح دون أن نكون مستحقين ، كى لا ندان لا من أجل السلوك ولا من أجل الكلمة ؛ لأن هذا ماتهدف إليه الذبيحة والصلاة من أجل المذبح ، الذبيحة والصلاة من أجل قدس الأقداس ، لكى على قدر إستطاعتنا يظلان مقدسين دون أن تلوثهما أعمالنا وفساد البدع .

وهذا بالفعل ما كان الله رب السموات والأرض يعييه بمرارة شديدة بواسطة أنبيائه أيضاً ، على البعض الذين يدنسون اسمه وهيكله أيضاً ويعطون الامم فرصة للتجديف .

« كهنتها خالفوا شريعتى ونجسوا أقداسى لم يميزوا بين المقدس والمحلل ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر وحجبوا عيونهم عن سبوتى فتدنست فى وسطهم » حز ٢٢ : ٢٦ .

« لذلك فقل لبيت اسرائيل . هكذا قال السيد الرب . ليس لاجلكم أنا صانع يا بيت اسرائيل بل لاجل اسمى القدوس الذى نجستموه فى الامم حيث جئتم » حز ٣٦ : ٢٢ .

إذاً فإنه لاجلنا نحن الذين نباشر الكهنوت فى كل وقت وبالاخص فى هذا اليوم الحاضر ، لاجل كل الكنيسة أيضاً أحسب أن هذه الذبائح المعقولة والصلوات يقدمها هذان الرئيسان العجيبان الكاملان باسيليوس واغريغوريوس ، وهما اللذان تنظر إليهما كأنهما رئيس كهنة حقيقى واحد ، لان لهما روح واحدة ، ولهما نفس الأفكار ، وقد ركضا نحو قة واحدة مرتفعة هى قة الكمال . وبالفعل قد أظهرا فى نفسيهما بالوقائع ذاتها رداء

الرعاية الذى كان قديماً يصفه الناموس حسب الشكل ، وتحقق أخيراً بالكمال بالإنجيل حسب الحقيقة .

« وهذه هى الثياب التى يصنعونها صدرة ورداء وجبة وقميص مخرم وعمامة ومنطقة . فيصنعون ثياباً مقدسة لهرون أخيك ولبنيه ليكهن لى . وهم يأخذون الذهب والاسمانجونى والأرجوان والقرمز والبوص .

فيصنعون الرداء من ذهب واسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم صنعة حائك حاذق . يكون له كتفان موصولان فى طرفيه ليتصل . وزنار شدّه الذى عليه يكون منه كصنعته . من ذهب واسمانجونى وقرمز وبوص مبروم . وتأخذ حجرى جزع وتنقش عليهما اسماء بنى اسرائيل . ستة من اسمائهم على الحجر الواحـــد وأسماء الستة الباقين على الحجر الثانى حسب مواليدهم . صنعة نقاش الحجارة نقش الخاتم تنقش الحجرين على حسب أسماء بنى اسرائيل . محاطين بطوقين من ذهب تصنعهما . وتضع الحجرين على كتفى الرداء حجرى تذكار لبنى اسرائيل . فيحمل هرون أسماءهم أمام الرب على كتفيه للتذكار . وتصنع

طوقين من ذهب . وسلسلتين من ذهب نق . مجدولتين تصنعهما صنعة الضفر . وتجعل سلسلتى الضفائر فى الطوقين .

وتصنع صدرة قضاء . صنعة حائك حاذق كصنعة الرداء تصنعها . من ذهب واسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم تصنعها . تكون مربعة مثنية طولها شبر وعرضها شبر . وترصع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرّد . الصف الأول ، والصف الثانى بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهر ويشم وجشت . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب . تكون مطوقة بذهب فى ترصيعها . وتكون الحجارة على أسماء بنى اسرائيل اثنى عشر على اسمائهم . كنقش الخاتم كل واحد على اسمه تكون للإثنى عشر سبطاً . وتصنع على الصدرة سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نق . وتصنع على الصدرة حلقتين من ذهب . وتجعل الحلقتين على طرفى الصدرة . وتجعل ضفيرتى الذهب فى الحلقتين على طرفى الصدرة . وتجعل طرفى الضفيرتين الآخرين فى الطوقين وتجعلهما على كتفى الرداء إلى قدامه . وتصنع حلقتين من ذهب

وتضعهما على طرفى الصدرة على حاشيتها التى إلى جهة الرداء من داخل . وتصنع حلقتين من ذهب . وتجعلهما على كتفى الرداء من أسفل من قدامه عند وصله من فوق زنار الرداء . ويربطون الصدرة بحلقتيها إلى حلقتى الرداء بخيط من اسمانجونى لتكون على زنار الرداء . ولا تنزع الصدرة عن الرداء . فيحمل هرون اسماء بنى اسرائيل فى صدرة القضاء على قلبه عند دخوله إلى القدس للتذكار أمام الرب دائماً . وتجعل فى صدرة القضاء الاوريم والتميم لتكون على قلب هرون عند دخوله أمام الرب . فيحمل هرون قضاء بنى اسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً .

وتصنع جبة الرداء كلها من اسمانجونى . وتكون فتحة رأسها فى وسطها . ويكون لفتحتها حاشية حواليهـــا صنعة الحائك . كفتحة الدرع يكون لها . لا تشق . وتصنع على أذيالها رمانات من اسمانجونى وارجوان وقرمز . على أذيالها حواليها . وجلاجل من ذهب بينها حواليها . جلجل ذهب ورمانة جلجل ذهب ورمانة على أذيال الجبة حواليها . فيكون على هرون للخدمة ليسمع صوتها عند دخوله إلى القدس أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت .

وتصنع صفيحة من ذهب نقى . وتنقش عليها نقش عاتم

قدس للرب . وتضعها على خيط أسمانجونى لتكون على العمامة . إلى قدام العمامة تكون . فتكون على جبهة هرون . فيحمل هرون إثم الأقداس التى يقدسها بنو إسرائيل جميع عطايا أقداسهم . وتكون على جبهته دائماً للرضا عنهم أمام الرب . وتخرّم القميص من بوص . وتصنع العمامة من بوص . والمنطقة تصنعها صنعة الطرّاز ، خر ٢٨ : ٤ - ٣٩ .

« وهذا ما تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا لى . خـــذ ثوراً واحداً ابن بقر وكبشين صحيحين . وخبز فطير وأقراص فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت . من دقيق حنطة تصنعها . وتجعلها فى سلة واحدة وتقدّمها فى السلة مع الثور والكبشين . وتقدم هرون وبنيه إلى باب خيمـــة الاجتماع وتغسلهم بماء . وتأخذ الثياب وتلبس هرون القميص وجبة الرداء والرداء الصدرة وتشدّه بزنار الرداء . وتضع العمامة على رأسه . وتجعل الإكليل المقدس على العمامة . وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه . وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة . وتنطقهم بمناطق هرون وبنيه . وتشد لهم قلانس . فيكون لهم كهنوت فريضة أبدية . وتملأ يد هرون وأيدى بنيه .

وتقدم الثور إلى قدام خيمة الاجتماع . فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الثور . فتذبح الثور أمام الرب عند باب خيمة الاجتماع وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح باصبعك. وسائر الدم تصبه إلى أسفل المذبح . وتأخذ كل الشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليها . وتوقدها على المذبح . وأما لحم الثور وجلده وفرثه فتحرقها بنار خارج المحلة . هو ذبيحة خطية .

وتأخذ الكبش الواحد . فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش . فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية . وتقطع الكبش إلى قطعه . وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه . وتوقد كل الكبش على المذبح . هو محرقة للرب . رائحة سرور . وقود هو للرب .

وتأخذ الكبش الثانى . فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش . فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة اذن هرون وعلى شحمة آذان بنيه اليمنى وعلى ابهام أيديهم اليمنى وعلى ابهام أرجلهم اليمنى . وترش الدم على المذبح من كل ناحية وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هرون

وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه . فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه . ثم تأخذ من الكبش الشحم والآلية والشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليها والساق اليمنى . فإنه كبش ملء . ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب . وتضع الجميع فى يدى هرون وفى أيدى بنيه وترددها ترديداً أمام الرب . ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب . وقود هو للرب .

ثم تأخذ الصدر من كبش الملء الذى لهرون وتردده ترديداً أمام الرب . فيكون لك نصيباً . وتقدس صدر الترديد وساق الرفيعة الذى رُدد والذى رفع من كبش الملء مما لهرون ولبنيه . فيكونان لهرون وبنيه فريضة أبدية من بنى إسرائيل لأنها رفيعة . ويكونان رفيعة من بنى إسرائيل من ذبائح سلامتهم رفيعتهم للرب .

«والثياب المقدسة التى لهرون تكون لبنيه بعده ليمسحوا فيها ولتملأ فيها أيديهم . سبعة أيام يلبسها الكاهن الذى هو عوض

عنه من بنيه . الذى يدخل خيمة الاجتماع ليخدم فى القدس ، خر ٢٩ : ١ - ٣٠ .

« فقدم موسى هرون وبنيه وغسلهم بماء . وجعل عليه القميص ونطقه بالمنطقة وألبسه الجبة وجعل عليه الرداء ونطقه بزنار الرداء وشده به . ووضع عليه الصدرة وجعل فى الصدرة الاوريم والتميم . ووضع العمامة على رأسه ووضع على العمامة إلى جهة وجهه صفيحة الذهب الإكليل المقدس كما أمر الرب موسى » لا ٨ : ٦ - ٩ .

قد ارتدينا الحلة الكهنوتية بأعمالنا ، بعد أن اغتسلنا أولا بمياة الفلسفة وحياة الرهبنة . لقد سار باسيليوس نحو حياة التوحد الطاهرة بعيداً عن مساكن الناس المنغمسين فى المادة . وكان اغريغوريوس يرعى أباه المريض فكان يسلك فى المدينة بالصبر الحقيق زاهداً فى أسلوب حياة اللامبالاة ، لدرجة أنه كان أحياناً يجعل الصمت الكامل لسانه قاعدة .

وإذ شدا وسطيهما بحـــزام ضبط النفس والامتناع عن الشهوات ، تمسكا بالبتولية ، وغلبا بالقوة هياج الأهواء المخزية

وحرارتها . عاملا إنسان الشر العتيق بمنف وقاوماه ، وأتيا بنفسيهما إلى الإنسان الجديد حسب الطبيعة . وبعد أن مرا معاً بهذا الحزم بكل ترتيب التعاليم المعقولة مجتهدين فى الاهتمام بها ، دعيا إلى أوج الحكمة الإلهية ، وذاقا ذبائحها واشتركا فى شرابها . « ذبحت ذبحها مزجت خمرها . أيضاً رتبت مائدتها » ام ٩ : ٢ . واشتهيا حلاوة الكلمات الإلهية ، ورغبا فيها بطريقة حسية فلم يبتعدا عنها ، بل تمتعا بها وامتلأ منها بكل قوتها دون أن يشبعا .

ودعا البدع الكاذبة فى التعاليم الدنيوية ، واستخدما ضعفها لكى يؤكدا الحق . هكذا قبل مسحهما بمسحة رئاسة الكهنوت ، كانا قد لبسا الحلة البهية التى تختلف باختلاف ألوان الفضائل وتنوعها وهذا ما يشير إليه نموذج الملابس المذكور فى الناموس ، القرمز والكتان والمواد الثمينة . كانا يلبسان التونية التى تنزل حتى القدمين كاملة من الطرف الأول إلى الطرف الآخر ، حتى أنه لا يوجد شىء لا تغطيه الفضيلة .

وأيضاً قد تمنطقا بالزنار الكهنوتى الذى يلتف حول التونية معطياً بهاء فى الشكل ، ومن ناحية أخرى لا يضغط بقوة ويحفظ الطهارة . كانا يتذكران فعلا ذلك الذى كلم حزقيال وقال عن

الكهنة : « ولتكن عصائب من كتان على رؤوسهم ولتكن سراويل من كتان على أحقائهم . لا يتمنطقون بما يعرق » خر ٤٤ : ١٨ . لأنه يجب أن يبدأ الكهنة بمعاملة مجهات الشهوات القوية معاملة عنيفة ، وان يبدأوا بالاجتهاد فى الاعمال، وسوف يمتلكون زناراً لا يعامل بعد بالعنف، بل يضمن الطهارة ويحفظها ويذكّر بها .

وقد لبسا أيضاً الحلة الداخلية وهى ضمن الملابس الكهنوتية أيضاً ، منسوجة ابتداء من أسفل كمثل تصاعد الفضائل ، وتعطى على قدر الاستطاعة معرفة الأسرار المخفية التى لا ينطق بها . كان قميص المسيح هو وحده القميص المنسوج ابتداء من فوق .

« ثم أن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسماً . وأخذوا القميص أيضاً . وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق » يو ١٩ : ٢٣ .

لأنه الكلمة العلىّ الذى نزل علينا كنوز الحكمة والمعرفة ويسكبها من فوق .

« والمدّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » كو ٢ : ٣ .

لا يحتاج إلى التدريب على الفضائل ، إذ أنه الذى لا يعرف خطيـــة .

« لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » ٢ كو ٥ : ٢١ . وهو يعطينا مثال الحياة الفضلى بما كان يفعله حسب التدبير الإلهى .

هذان الشجيعان لم يكن لتنقصهما أيضاً العلامات الرمزية التى توضع فوق الأكتاف (خر ٢٨ : ٦ - ١٤) ، فوضعا بتهليل واحدة منها على كل كتف . كانت هذه أيضاً مثل أحزمة موضوعة على الأكتاف ، إذ كانت مثل السلاسل منسوجة من الذهب ومن خيوط أخرى ذات ألوان جميلة . كانت تحيط بصدريهما وفى نفس الوقت تشد التونية الكهنوتية . كانت تصور محبة العمل وممارسة الفضائل العقلية . وكان يشير إليها الكتاب المقدس الذى يقول عن ساكار احد أبناء يعقوب : « انزلق وهو يحنى كتفه لكى يعمل وأصبح انساناً يزرع الأرض » .

كان مخلصنا الصالح يلوم الفريسيين لأنهم « يحزمون أحمالا

ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، مت ٢٣ : ٤ . ومن ناحية أخرى كان باسيليوس واغريغوريوس يحملان الصبر ومحبة العمل ترمز إليها الشارات اللامعة على أكتافهما . كان يعطيان مثالا للعمل الذين كانوا تحت سلطانهما ، وبأعمالهما ، وكانا يشجعان بالقدوة الحسنة عليه ، ويصيحان أن نير الإنجيل هين وحمله خفيف . « لأن نيري هين وحملي خفيف » مت ١١ : ٣٠ .

وعلى صدرهما أيضاً كانت صدرة القضاء . وبالنسبة للحواس ، كانت حسب النموذج المذكور في الناموس ، نسيجاً مزدوجاً طوله مثل عرضه ، وكانت مزينة أيضاً بالذهب وبألوان صبغة ، فهي تزدان من فوق بأربعة صفوف من الحجارة الكريمة . وبالنسبة للمعنى العقلي كانت تشير إلى الطهارة المؤثرة المختبرة ، فهي الروح رداء . وهذا فعلا ما يرمز إليه الذهب ، كما ترمز الحجارة البراقة إلى الرأي الثابت السليم المتصل بالأعمال الصالحة المعلن لكل الناس الواضح غير المتغير .

وهي بعدد الأربعة صفوف تعني أن الصدرة كانت مغلقة

من كل ناحية كانت مثنية لأن ذلك القماش كان مبطناً ومطوياً على نفسه ، وذلك كان يعني أنه يجب على الكاهن أن يعامل حركات فكره المعقولة كما لو كانت جديدة ، ويراجعها حتى يكون في مأمن من كل جانب .

إذن حين كان هذان الرئيسان في الكهنوت يحملان صدرة القضاء المصنوعة بهذا الكمال ، كانت لهم المعرفة ركاز لديهم الحق .

« وتجعل في صدرة القضاء الأوريم والتميم لتكون على قلب هرون عند دخوله أمام الرب . فيحمل هرون قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً » خر ٢٨ : ٣٠ .

« ووضع عليه الصدرة وجعل في الصدرة الأوريم والتميم » لا ٨ : ٨ .

فكانت الصدرة مشغولة بفن يقع تحت الحواس حسب كتاب الناموس ؛ وبالنسبة للناحية العقلية كانت تشير إلى الاعلانات العالية عن الأشياء الإلهية وإلى ظهور الحق . فإن من يملك في طهارته الحركة المعقولة مستنيراً ومنقوياً ، يتألق بالنور الحقيقي .

بعد أن استنار هذان القديسان اللذان نحتفل بهما بذلك النور ، أظهرا تعاليم غزيرة غنية ، مليئة . كانا يقوّمان الأخلاق الشرسة المتوحشة ويهذبانها ، فيجرى التأمل الطبيعى فى حكمة الخالق كما يجرى من أماكن سرية ؛ تلك الحكمة التى نراها فى الخلائق المنظورة التى تملأ العالم . وكانا يدركان سمو علم اللاهوت من فوق بالذهن والكلمة ، على قدر ماتصل إليه الأفهام، وينقلانه إلى الآخرين برأى مستساغ متزن .

وكما كانا يلبسان الرداء صدرة القضاء كانا مدبرين ووكيلين روحانيين لعمق الكتاب الإلهى ، لا يحتقران جمال الحـــرف الظاهرى وبساطته الخارجية ، يغترفان ويمتصان غنى الروح المخفى فى الكتاب المقدس حسب درجات العلم الراسخ ، ولا يسكران بكأس الجهل الذى يحوى مختلف التفسيرات الخاطئة أو الخيالية التى تشرّبت بخداع وسفاهة الهراطقة ، وزودت جمال الحقيقة بالروايات الخياليه التى تليق بتفسير الأحلام .

كان الأفضل لهؤلاء أن يهانوا حسب طريقـــة اليهود تبعاً لفهمهم السقيم للكتاب ، من أن يصلوا بكبرياء جاهلة وقحة إلى

القش الخفيف غير المعقول الذى يليق بالحيوانات بدلا من القمح المغذى الذى يليق بالأرواح العاقلة .

وحقاً قال أحد الأنبياء فى كلمات شبيهة : « أنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة . زرع ليس له غلة لا يصنع دقيقاً . وأن صنع فالغرباء تبتلعه » هوشع ٨ : ٧ .

ولكن لم يكن باسيليوس الكبير واغريغـــوريوس الناؤلوغوس كذلك هما بالنسبة لى رداء العقل والأحكام والمعرفة والحق . وانى أقارن كلماتى الفقيرة من جميع الوجوه ، بتعاليمهما الملهم بها من الله . فإذا وجدت مع كثرة تأملى فى تعاليمهما أن كلماتى لا تعكس صورة مشابهة لما تقدمه تعاليمهما ، فإنى فى الحال أصححها وأجتهد أن أرفعها إلى مستوى أشبه تعاليمهما .

أنهما من أجل ذلك كان رداء آرائهما سميكاً صلباً قوياً ، لأنه حسب إحدى وصايا الناموس، كان معلقاً بتلك الكتافيات المرصوعة على اكتافهما ، مجتمعاً ومرتبطاً بالصبر ومحبة العمل. وبالفعل يقول الكتاب بوضوح : « وربطون الصدرة بحلقتيها إلى حلقتى الرداء بخيط من أسمانجونى لتكون على زنار الرداء . ولا تنزع الصدرة عن الرداء » خر ٢٨ : ٢٨ .

كانت الكتافية منسوجة مثل السلسلة ، وكانت لها دروع صغيرة طويلة مرتبطة بها تجمعها بهذا الرداء ، وكانت مصنوعة من الذهب بمزيج من ألوان كثيرة . وكان يمكن بسبب شكلها الدائري تسميتها مجلات أو أطباق صغيرة أو شيء من هذا القبيل. ولكنه يليق بالأكثر أن نسميها دروعاً صغيرة مستديرة ، أو مستطيلة ، لأنه يجب أن يحاط رئيس الكهنة من أمامه ومن خلفه بدروع اليقظة فينذر، خشية أن تضرب فكرة معادية من الأرواح الشريرة هذا الرداء ، فيضطرب فحص الاحكام وتبعد عنه المعرفة والحق بسبب اختلاط الشر .

يجب أن يقدم رئيس الكهنة هذا الدرع للذين يسمعون قضاءه ، كمجاهد أول ورئيس أركان حرب، فيتعلموا ويشتركوا في نور المعرفة والحق ؛ وأن يطرد عنهم كل سهم يأتي من الغزاة. وهكذا دافع باسيليوس واغريغوريوس عن الكنيسة ، حينما قاوما بشجاعة ضربات وهجمات الاعداء أريوس وأمونيوس ومقدونيوس؛ وهما الآن ايضاً يدافعان عن الكنيسة باستعدادهما ضد كل هرطقة فيقلبانها وينتصران عليها .

« انهما يحملان السلاح المقدس على جبهتيهما » خر ٢٨ :

٢٦ - ٢٨ . ومع بولس الرسول ينظران « مجد الرب بوجه مكشوف » ٢ كو٣ : ١٨. انهما يتوجان رأسيهما بتاج ذي مظهر جميل ناتج عن كل هذه الزينة . وعلى رأسيهما الإكليل الثلاثي المستدير المذهب الرفيع يظهر بشكل ما كأنه السماء ، وهو يشير إشارة تامة بوضوح يليق بالكهنة ، إلى أنهم مواطنو ملكوت السموات لابسو الفضائل المتقدمة من أسفل إلى أعلى .

ليتنا جميعاً لانظهر هناك غرباء في يوم الدين بالنعمة وبمحبة الله العظيم مخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين ؟

† † †